ISSN: 2527-7251
e-ISSN: 2549-9262
Studia Quranika Jurnal Studi Quran
DOI: http://dx.doi.org/10.21111/studiquran.v3i1.2330

Karâmah Maryam 'Inda Jamâl ad-Dîn al-Qâshimy fi Tafsîrih Maḥâsin at-Ta›wîl

Ahmad Suharto*
Universitas Darussalam Gontor, Indonesia
Email: suharto@gmail.com

Khansa Azizah**
Universitas Darussalam Gontor, Indonesia
Email: khansazizah@gmail.com

Abstract

Maryam is one of women whom Allah tells in the Qur'an, who had place with Allah enshrined into one of the suras in the Qur'an. There are many signs of Maryam's magnificence that appears from her birth to adulthood. The magnificence illustrated by the protection of God as a holy woman, sudden sustenance, and the birth of a baby without a man. Jamaluddin al-Qasimi in his Book of *Maḥâsin at-Ta'wîl* with the *'aqly ijtihâdy* approach which adheres to the history of *mutawâtir* and wich is is free from the history of *israiliyyah*, place this phenomenon as karomah. This paper examines the karomah to Maryam in the Qur'an with a thematic approach in Jamaluddin al-Qasimi perspective.

Keywords: Karomah, Maryam, Jamaluddin Al-Qasimi

Abstrak

Maryam adalah salah satu wanita yang Allah ceritakan dalam al-Qur'an, dan mendapat tempat di sisi Allah hingga diabadikan menjadi salah satu surat dalam al-Qur'an. Terdapat banyak tanda kemuliaan Maryam yang muncul sejak lahir hingga dewasa. Kemuliaan tersebut didasari dari perlindungan Allah hingga menjadikannya sebagai wanita suci, rezeki yang datang secara tiba-tiba, dan melahirkan bayi tanpa seorang laki-laki. Jamaluddin al-Qasimi dalam Kitab *Maḥâsin at-Ta›wîl* dengan pendekatan *'aqly ijtihâdy* yang tetap menggunakan riwayat *mutawâtir* dan bebas dari riwayat *israiliyyah*, menempatkan fenomena ini sebagai karomah. Tulisan ini mengkaji terkait karomah yang ditujukan kepada Maryam dalam al-Qur'an dengan pendekatan tafsir tematik dalam perspektif Jamaluddin al-Qasimi.

Kata Kunci: Karomah, Maryam, Jamaluddin Al-Qasimi

* Universitas Darussalam (UNIDA) Gontor, Jl. Raya SimanPonorogo, telp (0352) 483762, Fax. (0352) 488182
** Universitas Darussalam (UNIDA) Gontor, Jl. Raya SimanPonorogo, telp (0352) 483762, Fax. (0352) 488182

مقدمة

يقص قصة مريم من ابنة عمران من المرأة الصالحة أثنى الله تعالى عليها في القرآن الكريم.كرم القرآن مريم، فذكر اسمها مقرونا بالخير والفضيلة دون كل النساء. وأثرها بثناء خالد لم تظفر به امرأة قبلها، ولا يكون أبدا من بعدها. ولكن فقد راح المسيحيون يتيهون بهذا الثناء القرآني وقضوا بأن مريم أفضل من حواء.[١]بسط الله تعالى في الآية القرآنية من سورة آل عمران، وسورة مريم، وسورة الأنبياء، ولمحات في سورة التحريم وفي سورة النساء. وهي كذالك مذكورة باسم السورة لأنها فذة ومفردة بين نساء العالم بشيء لا يحدث ولن يحدث إلا لها. فهذا أمر لن يتكرر، ولا تستطيع امرأة أن تدعيه. لقد عوذتها أمها من الشيطان وهي حامل بها

وقد اختلف الناس بكراماتها في نبوة مريم، فقيل إنها نبية بإحدى الكرامة لإرسالهاالملك ومخاطبتها، وقيل لم تكن نبية لأنه إنما كلمها الملك وهو على مثال البشر.[٢]قد حكى بعض العلماء بهذه القصة من أصحابنا في نبوة مريم. فاختلف العلماء في مسألة جواز نبوة النساء مطلقاً على أقوال هي:

١. ذهب بعضهم إلى جواز نبوة النساء واتّفقوا على نبوة مريم واختلفوا في حواء وسارة وهاجر وأم موسى، ومن هؤلاء العلماء ابن حزم، والقرطبي وتبعهم بعض العلماء.[٣]
٢. وذهب بعضهم إلى التوقف في المسألة، فقد نقل عن السبكي الكبير أنه قال: (لم يصح عندي في هذه المسألة شيء).[٤]

---

١ حسني يوسف الأطير، **سر مريم أم المسيح ابن مريم**، القاهرة: مكتبة الزهراء، ٤٩٩١ م، ط. ١، ص. ٩-٠١

٢ أبو الطيب محمد صديق خان بن حسن بن علي، **فتحُ البيان في مقاصد القرآن**، بيروت: المكتبية العصرية للطباعة والنشر، ٢٩٩١ م، ج. ٨ ص. ٦٤١

٣ أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي القرطبي الظاهري، **الفصل في الملل والأهواء والنحل**، القاهرة: مكتبة الخانجي، د. س, ص. ٥/ ٩١١ - ١٢١

٤ زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب بن الحسن، **فتح الباري شرح صحيح البخاري**، القاهرة: مكتبة الغرباء الأثرية، ٦٩٩١ م، ص. ٦/ ١٧٤

٣. وذهب الجمهور إلى عدم جواز نبوة النساء، وأن النبوة خاصة بالرجال. قاله القاضي عياض، ونقل النووي وابن تيمية الإجماع على ذلك عن غير واحد مثل القاضيين: أبي بكر بن الطيب وأبي يعلى وابن أبي الفراء، والأستاذ أبي المعالي الجويني وغيرهم.[٥]

فالمفسر يكون مبينا ممّ يقوم به الآية القرآنية، والتعقيب على القصص مايقصها الآية القرآنية. كان **محمد جمال الدين أبو الفرج بن محمد سعيد بن** قاسم بن صالح ابن إسماعيل بن أبي بكر المعروف بالقاسمي من أحد المفسرين في عصر الراهن.وكان القاسمي يتحرى مذهب السلف في الدين ينصره في دروسه ومصنفاته.[٦]ويبدوا أن القاسمي كان متأثرا بالنزعة العلمية في تفسيرهوورد القاسمي كذالك أقوال المفسرين القدامى والعلماء ونقل عن تفاسيرهم وأقوالهم ما فيه علاج لأمراض مجتمع.[٧]وأما منهجه في التفسير فمن التفسير البياني، فبين واضحا بيان اللغة والإعراب والصرف والنحو، وذكر الوجوه المحتملة في الآية وما قيل فيها من المباحث والموضوعات.وموقفه عند الإسرائيليات فلم يكتب إلا ما كان صحيحا عنده.[٨]قد جمع بين التفسير بالمأثور والمنظور لاعتقاده بأن التفسير النقلي لايكفى لمعرفة كتاب الله تعالى. وكان القاسمي ينقل عن الأناجيل أحيانا، ولكنه يذكر بطلان ما زعمه اليهود في توراتهم وتلمودهم وما رواه النصارى في الإنجيل ممزوجا ببعض تفاسيرهم وتهافت ذالك بالحجج الدامغة.[٩] كذالك لأنه عني بالنقل عن مفسري السلف فلا مفر له من ذكر الإسرائيليات في تفسيره. وإذ ينقل الاسرائيليات عن تفاسير السلف إلا أنه لايقف منها على الاهتمام بالأقوال الضعيفة

---

٥ زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب بن الحسن، **فتح الباري شرح صحيح البخاري**، القاهرة: مكتبة الغرباء الأثرية، ٦٩٩١ م، ص. ٦/ ١٧٤

٦ الدكتور عبد المجيد عبد السلام المحتسب،**اتجاهات التفسير في عصر الراهن**، عمان: جمعيةعمالالمطابعالتعاونية، ٢٨٩١م، ص ٢٤

٧ الدكتور عبد المجيد عبد السلام المحتسب،**اتجاهات التفسير في عصر الراهن**, ص. ٤٤

٨ السيد محمد علي إيازي، **المفسرون حياتهم ومنهجهم**، مؤسسة طباعة والنشر وزارة الثقافة والإرشاد الإسلامي ٣٧٣١ م، ص ١٢٦

٩ الدكتور عبد المجيد عبد السلام المحتسب، **اتجاهات التفيسر في عصر الراهن**، عمان: منشورات مكتبة النهضة الإسلامية، ط، ص. ٣٥

وينبه إلى فسادها وغلطها.

الكرامة هي أمر خارق للعادة، مستغرب عجيب صدوره، وأنه إذا جرى على يدي الولي فما كانت جري على أيدي الأنبياء سمي معجزة، وقد ذكر العلماء معجزات للنبي صلى الله عليه وسلم.[١٠]وأمر آخر ينبغي الاهتمام به بأن كرامات الولي ينبغي أن تكون في حدود الشريعة، فلو أن إنسانا جاء وزعم كرامة من الكرامات وهي مخالفة للشريعة، فإنه لا يقال إن هذه كرامة، لأن الكرامة هي التي تكون في حدود الشريعة، فدعاوى بعض الصوفية أن من كراماتهم سقوط التكاليف يجاب عليها أن التكاليف لا تسقط عن أحد حتى الموت، فالأنبياء وهم الأنبياء لم تسقط عنهم التكاليف، فهذه ليست كرامة، إنما هي غواية.لأن الكرامة شيء من عند الله يكرم بها أولياءه، لا قصد لهم فيه ولا تحدي، ولا قدرة ولا علم[١١]

لكن أنكرت الفلاسفة[١٢] كرامات الأولياء كما أنكروا معجزات الأنبياء، وأنكرت الكرامات أيضا المعتزلة، وبعض الأشاعرة بدعوى التباسها بالمعجزة، وهي دعوى باطلة لأن الكرامة لا تقترن بدعوى الرسالة. وهناك مذهب مخالف لمذهب أهل السنة وهو مذهب المعتزلة ومن تبعهم حيث إنهم ينكرون الكرامات لإثباته بالسحر.[١٣] فاشتبه الساحر بالولي والولي بالنبي.

تصنيف الآية المتضمّنة بكرامة مريم وتفسيره عند جمال الدين القاسمي

---

[١٠] وإن كان اسم المعجزة يعم كل خارق للعادة في اللغة وعرف الأئمة المتقدمين كالإمام بن حنبل وغيره – ويسمونها الآيات، لكن كثير من المتأخرين يفرق غي اللفظ بينهما فيجعل المعجزة للنبي والكرامة للولي. (شيخ الإمام تقي الدين، **المعجزة والكرامة وأنواع خوارق العادات ومنافعها ومضارها**، مكتبة الصحاية بطنطا، ٦٨٩١م

[١١] سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب, **تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد الذى هو حق الله على العبيد**، المكتب الاسلامي، بيروت، دمشق: ٢٠٠٢ م، ص. ٢٩١

[١٢] الفلسفة باليونانية: محبة الحكمة. والفيلسوف هو: (فيلا) و (سوفا) . و (فيلا) : هو المحب. و (سوفا) : الحكمة؛ أي: هو محب الحكمة. وفلاسفة العرب: من اتبع فلاسفة اليونان في كفرهم وضلالاتهم؛ كأرسطو طاليس، وأفلاطون، وغيرهما، ومن فلاسفة العرب ابن رشد وابن سينا والرازي الطبيب وغيرهم. وهؤلاء لا يؤمنون بالأنبياء ومعجزاتهم، ولا الأولياء وكراماتهم.

[١٣] محمد بن صالح بن محمد العثيمين، **شرح العقيدة الواسطية**، الرياض: دارابنالجوزي، ١٢٤١ ه. ط. ٦، ج. ٢، ص. ٣٠٠

أ. المولد والنشأة

إِذْ قَالَتِ امْرَأَتُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّي إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ. فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَى وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَى وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ (آل عمران: ٥٣ – ٦٣)

خصص في هذه الآية فضل امرأت عمران وهي أم مريم باسم حنة بنت فاقوذا.[١٤]توفي عمران وترك زوجتها حاملا فحزنت، وقد نذرت لإبن مالذي في بطنها أن يكون محررا ومخلصا لخدمة بيت المقدس. أي مخلصا للعبادة أو خادما يخدم في متعبداتك. وفي الآية دلالة على صحة نذر الأم بولده. والمعنى النذر وقفا على الطاعة. وهكذا الواجب على كل أحد إذا طلب ولدا أن يطلب للوجه الذي طلبت امرأة عمران من الاستئناس والاستنصار والاستعانة بأمر المعاش بهم.

لقد كانت تنتظر وترجومن أن يكون ذكرا فالنذر للمعابد لم يكن معروفا إلا للصبيان، ليخدموا الهيكل، وينقطعوا للعبادة والتبتل. ولكن تجدها أنثى[١٥]، يعني أن الأنثى لا تصلح لخدمة الكنيسة. فإن الذكر يفضلها من وجوه على أن الذكر يصح أن يستمر على خدمة موضع العبادة ولا يصح ذلك في الأنثى لمكان الحيض فيه وسائر عوارض النسوان، أن الذكر يصلح لقوته وشدته للخدمة دون الأنثى فإنها ضعيفة لا تقوى على الخدمة، أن الذكر لا يلحقه عيب في الخدمة والاختلاط بالناس وليس كذلك الأنثى، أن الذكر لا يلحقه من التهمة عند الاختلاط ما يلحق الأنثى. فهذه الوجوه تقتضي فضل الذكر على الأنثى في هذا المقام.[١٦]قيل لما يصيبها من الحيض والأذى. وإنما تحسرت أو اعتذرت إذ جهلت قدرها.أي والله أعلم

---

[١٤] محمد الطاهر ابن عاشور، **تفسير التحرير والتنوير**، الجزء الثالث، المجلد الأول، تونس: دار السحنون للنشر والتوزيع، ٧٩٩١،، ص. ٢٣٢، انظر أيضا في التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج المجلد الثاني، ص. ٠٣٢-١٣٢

[١٥] سيد قطب إبراهيم حسين الشاربي، **في ظلال القرآن**، بيروت: دار الشروق، ٢١٤١ ه، ط. ٧١، ج. ١، ص. ٢٩٣

[١٦] محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق القاسمي، **محاسن التأويل**، بيروت: دار الكتب العلميه ، ٨١٤١ ه، ج. ٢ ص. ٠١٣ – ١١٣

بالنفس التي وضعتها، وما علق بها من عظائم الأمور، وجعلها وابنها آية للعالمين، وهي غافلة عن ذلك.

وهذا الحديث على هذا النحو فيه شكل المناجاة القريبة. مناجاة من يشعر أنه منفرد بربه. يحدثه بما في نفسه، وبما بين يديه، ويقدم له ما يملك تقديما مباشرا لطيفا. وهي الحال التي يكون فيها هؤلاء العباد المختارون مع ربهم. حال الود والقرب والمباشرة، والمناجاة البسيطة العبارة، التي لا تكلف فيها ولا تعقيد، مناجاة منيحس أنه يحدث قريبا ودودا سميعا مجيبا. و يستدل به على أنه لا يجوز استئجار من تحيض لخدمة المسجد.

وتسمية تلك الكرأةمريم، قال المفسرون هي في لغتهم بمعنى العابدة، سمتها بذلك رجاء وتفاؤلا أن يكون فعلها مطابقا لاسمها. لكن رأيت في تأويل الأسماء الموجودة في التوراة والإنجيل أن مريم معناه مرارة أو مر البحر.

ب. كفالة زكريا و الرزق من حيث لا يحتسب

فَتَقَبَّلَها رَبُّها بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنْبَتَها نَباتاً حَسَناً وَكَفَّلَها زَكَرِيَّا كُلَّما دَخَلَ عَلَيْها زَكَرِيَّا الْمِحْرابَ وَجَدَ عِنْدَها رِزْقاً قالَ يا مَرْيَمُ أَنَّى لَكِ هذا قالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللهِ إِنَّ اللهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشاءُ بِغَيْرِ حِسابٍ (آل عمران الآية ٧٣)

التقبل الذي هو الترقي في القبول، والقبول الذي يقتضي الرضا والإثابة. ثم بجعل ذريتها من كبار الأنبياء.نباتها مجاز عن التربية الحسنة العائدة عليها بما يصلحها في جميع أحوالها، أي كالصلاح والسداد والعفة والطاعة[١٧]. و جعلها شكلا مليحا ومنظرا بهيجا، ويسر لها أسباب القبول، وقرنها بالصالحين من عباده تتعلم منهم الخير والعلم والدين.[١٨]وجعل زكريا كافلا لمريم وضامنا لمصالحها، وقائما بتدبير أمورها. وقد روي أن أمها أخذتها وحملتها إلى المسجد.

---

[١٧] أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله، **الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل**، بيروت: دار الكتاب العربي، ٧٠٤١ ه، ط. ٣، ج. ١، ص. ٨٥٣

[١٨] أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي، **تفسير القرآن العظيم**،دار طيبة للنشر والتوزيع، ٩٩٩١م، ج. ٢، ص. ٥٣

في الآية دليل على وقوع الكرامة لأولياء الله تعالى، كما وجد، إن مريم عليها السلام كان يتعرف إليها في بدايتها بخرق العوائد بغير سبب تقوية لإيمانها وتكميلا ليقينها، فكانت كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقا. وكانت الفاكهة يعني فاكهة الصيف في الشتاء وفاكهة الشتاء في الصيف، وفيه دلالة على كرامات الأولياء.[١٩]

فكما نرى من الآية وقوع كرامات مريم عليها السلام قبل الإصطفاء للحمل بالمسيح أن الملائكة كانت تأتيها بالطعام في بيت زكريا عليه السلام، فقد رأى بعينيه أن الملائكة تأتيها بالطعام في محراها الذي تتعبد فيه لربها، و لم تكن هذه لمرة واحدة بل كانت على الدوام. وهذا الدليل على صلاحها وتقواها، وحينما سألها عن مصدر هذا الطعام لم يكن شأنها أن تثبت الكرامات لنفسها، بل قالت أنه من رزق الله عز وجل الذي يهبه لمن يشاء من عباده.

ج. الإصطفاء الإلهي لمريم عليها السلام

وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ. يَا مَرْيَمُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ وَاسْجُدِي وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ (آل عمران: ٢٤ – ٣٤)

شروع في تتمة فضائل آل عمران. قال المهايمي:فيه إشارة إلى جواز تكليم الملائكة الولي، ويفارق النبي في دعوى النبوة (إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ) بالتقريب والمحبة(وَطَهَّرَكِ) عن الرذائل ليدوم انجذابك إليه (وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ) بالتفضيل وبما أظهره من قدرته العظيمة حيث خلق منك ولدا من غير أب، و لم يكن ذلك لأحد من النساء[٢٠]. واستدل بهذه الآية من قال بنبوة مريم.[٢١] كما استدل بها من فضلها على بنات النبي صلى الله عليه وسلم وأزواجه.والإشارة إلى الطهر هنا

---

[١٩] أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي، **تفسير القرآن العظيم**، دار طيبة للنشر والتوزيع، ٩٩٩١م، ج. ٢، ص. ٦٣

[٢٠] محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق القاسمي، **محاسن التأويل**، بيروت: دار الكتب العلميه ، ٨١٤١ ه، ج. ٢ ص.٦١٣

[٢١] عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي، **الإكليل في استنباط التنزيل**، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٨٩١ م)، ج. ١، ص. ٩٦

إشارة ذات مغزى. وذلك لما لابس مولد عيسى عليه السلام من شبهات لم يتورع اليهود أن يلصقوها بمريم الطاهرة، معتمدين على أن هذا المولد لا مثال له في عالم الناس فيزعموا أن وراءه سرا لا يشرف.[٢٢]

كانت الآية يبين على الاصطفاء الإلهي لمريم ابنة عمران، ويكون الاصطفاء مرتين كالمقدمة على الآخر. والمراد باصطفاء الأول بتطهيرها من الرجس وتأييدها بالكرامات و الثاني على الاصطفاء باختيارها لتكون مستقر الأحد معجزات الله عز وجل، وهي الحمل دون زواج بأحد أنبياء الله. وهذا من جزاء التقرب إلى الله والإستعانة بالله في كل حال. وقد بشرت الملائكة مريم عليها السلام بذا الحدث وبصفات المولود منها كما قوله تعالى.

د. إتيان الملك للبشارة و النفخ بالروح

إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ. وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ الصَّالِحِينَ (آل عمران: ٤٥ – ٤٦)

(إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ)شروع في قصة عيسى عليه السلام (يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ) أي بمولود يحصل بكلمة منه بلا واسطة أب (اسْمُهُ) ذكر الضمير الراجع إلى الكلمة لكونها عبارة عن مذكر. أي اسمه الذي يميزه لقبا (الْمَسِيحُ) وعلما (عِيسَى) معرب يسوع بالسين المهملة كلمة يونانية معناها (مخلص) ويرادفها (يشوع) بالمعجمة، إلا أنها عبرانية كما في تأويل أسماء التوراة والإنجيل.وفيها أن المسيح بمعنى الممسوح أو المدهون.

وإنما قال (ابْنُ مَرْيَمَ) مع كون الخطاب لها، تنبيها على أنه يولد من غير أب، فلا ينسب إلا إلى أمه، وبذلك فضلت على نساء العالمين (وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ)

[٢٢] سيد قطب إبراهيم حسين الشاربي، **في ظلال القرآن**، بيروت: دار الشروق، ٢١٤١ ه، ط. ٧١، ج. ١، ص. ٣٩٣

أي سيدا ومعظما فيهما (وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ) أي من الله عز وجل.[٢٣]

إن هذه وأمثالها، من أمور الغيب التي لا مجال لمعرفة كنهها على وجه التحديد. ولكن الأمر أيسر من هذا إذا أردنا أن نفهم طبيعة هذه الحقيقة الفهم الذي يصل القلب بالله، وصنعته وقدرته، ومشيئته الطليقة، لقد شاء الله أن يبدأ الحياة البشرية بخلق آدم من تراب، فإن هذا لا يقدم ولا يؤخر في طبيعة السر الذي لا يعلمه إلا الله. سر الحياة التي لا بست أول مخلوق حي، أو لا بست آدم إن كان خلقه مباشرة من التراب الميت.[٢٤]

ولا ريب أن المراد واضح، فالمراد هنا تسديد الله لهذه المخلوقات بما أرسل الله الملك يبشرها بعيسى عليه السلام غلاما زكياعنطريقالإلهام. فأوجست مريم خيفة من هذا الملك و استنكرت مريم بأنها عذراء. فأخبرها أن الأمر من الله تبارك وتعالى الذي لا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء. فما كان منها إلا التعجب من هذه الكرامة التي منحها الله عز وجل لها، فدار بينها وبين جبريل عليه السلام الحوار الذي قصه الله عز وجل.

٥. أحداث الحمل إلى الميلاد

قَالَتْ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ قَالَ كَذَلِكِ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ إِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ (آل عمران: ٧٤)

فأما مريم الفتاة الطاهرة العذراء المقيدة بمألوف البشر في الحياة، فقد تلقت البشارة كما يمكن أن تتلقاها فتاة. واتجهت إلى ربها تناجيه وتتطلع إلى كشف هذا اللغز الذي يحير عقل الإنسان.[٢٥](قَالَتْ) مخاطبة لله الذي بعث إليها الملائكة (رَبِّ

---

[٢٣] محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق القاسمي، **محاسن التأويل**، بيروت: دار الكتب العلميه ، ١٤١٨ ه، ج. ٢ ص. ٨١٣

[٢٤] سيد قطب إبراهيم حسين الشاربي، **في ظلال القرآن**، بيروت: دار الشروق، ٢١٤١ ه، ط. ٧١، ج. ١، ص. ٣٩٣. وقال بعض مفسري الزيدية ثمرة الآية أنه يجوز التخاصم لطلب الفضل حتى يتميز واحد بمزية، ودلت على أن التمييز يحصل بالقرعة في الأمر الملبس. انظر **محاسن التأويل**، ج. ٢ ص.٦١٣ – ٧١٣

[٢٥] سيد قطب إبراهيم حسين الشاربي، **في ظلال القرآن**، بيروت: دار الشروق، ٢١٤١ ه، ط. ٧١، ج.

أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ) أي لست بذات زوج (قَالَ كَذَلِكِ) أي على الحالة التي أنت عليها من عدم مس البشر (اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ) ولا يحتاج إلى سبب، ولا يعجزه شيء.وصرح هاهنا بقوله يخلق ما يشاء و لم يقل يفعل كما في قصة زكريا، لما أن الخلق المنبئ عن الإحداث للمكون أنسب بهذا المقام لئلا يبقى لمبطل شبهة، وأكد ذلك بقوله: (إِذَا قَضَى أَمْرًا) من الأمور أي أراد شيئا.[٢٦](فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ)، من غير تأخر ولا حاجة إلى سبب. أي إنما نأمر مرة واحدة لا تثنية فيها فيكون ذلك الشيء سريعا كلمح البصر. وتقدم الكلام على هذه الآية في سورة البقرة.

قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا .قَالَتْ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا. قَالَ كَذَلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً لِلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَقْضِيًّا . فَحَمَلَتْهُ فَانْتَبَذَتْ بِهِ مَكَانًا قَصِيًّا (مريم: ١٩ – ٢٢)

(قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ) أي لا تخافي ولا تتوقعي ما توهمت. فإني رسول ربك الذي استعذت به، بعثني إليك(لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا) أي لأكون سببا في هبته. و (الزكي) الطاهر من الذنوب أو النامي على الخير.(قَالَتْ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا) أي تعجبت من هذا وقالت: (كيف يكون لي غلام، أي على أي صفة يوجد مني، ولست بذات زوج ولا يتصور مني الفجور؟)[٢٧]

(قَالَ) أي الملك (كَذَلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً لِلنَّاسِ) أي برهانا يستدلون به على كمال قدرة بارئهم وخالقهم الذي نوع خلقهم. فخلق أباهم آدم من غير ذكر ولا أنثى. وخلق حواء من ذكر بلا أنثى. وخلق بقية الذرية من ذكر وأنثى، إلا عيسى فإنه أوجده من أنثى بلا ذكر. فتمت القسمة الرباعية الدالة على كمال قدرته وعظيم سلطانه (وَرَحْمَةً مِنَّا) أي عليك بهذه الكرامة،

١، ص. ٨٩٣

[٢٦] كما في قوله تعالى: إذا أراد شيئا [يس: ٢٨]

[٢٧] محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق القاسمي، **محاسن التأويل**، بيروت: دار الكتب العلميه ، ١٤١٨ ه، ج. ٧ ص. ٠٩.

وعلى قومك بالهداية والدعاء إلى عبادة الله وتوحيده، فيهتدون بهديه ويسترشدون بإرشاده. وقوله (وَكَانَ أَمْرًا مَقْضِيًّا) من تتمة كلام جبريل لمريم. يخبرها أن هذا أمر مقدر في علم الله تعالى وقدره ومشيئته. أو من خبره تعالى لنبيه صلوات الله عليه. وأنه كنى به عن النفخ في فرجها.

فهذا الأمر الخارق الذي لا تتصور مريم وقوعه، هين على الله. فأمام القدرة التي تقول للشيء كن فيكون، كل شيء هين، سواء جرت به السنة المعهودة أو جرت بغيره. والروح يخبرها بأن ربها يخبرها بأن هذا هين عليه. وأنه أراد أن يجعل هذا الحادث العجيب آية للناس، وعلامة على وجوده وقدرته وحرية إرادته.[٢٨]

(فَحَمَلَتْهُ فَانْتَبَذَتْ بِهِ مَكَانًا قَصِيًّا) إن السياق لا يذكر كيف حملته ولا كم حملته. هل كان حملا عاديا كما تحمل النساء وتكون النفخة قد بعثت الحياة والنشاط في البويضة فإذا هي علقة فمضغة فعظام ثم تكسى العظام باللحم ويستكمل الجنين أيامه.[٢٩]أي لما صارت حاملا به، اعتزلت بسببه مكانا بعيدا من قومها، فرارا من القالة. وقد روي عن السلف أن جبريل لما قال لها، عن الله تعالى، ما قال، مما تقدم، استسلمت لقضاء الله تعالى فاطمأنت إلى قوله.[٣٠]فدنا منها فنفخ في جيب درعها. فسرت النفخة حتى ولجت في الفرج، فحملت بإذن الله تعالى.

الإختتام

ثبوت الكرامة على يد الولي متفق بمذهبه أهل لسنة برد القائل من المذهب المخالف على عدم إثباتهم في الكرامة لالتباس الولي بالساحر، فالظاهر على أن وقوع الكرامة بالإيمان والتقوي وليس بالتمني وبعدم التمني فالساحر قد يكون عليه أمر خارق بالتمني على يد عبد عدو بعيد من ولاية الله. وأنه لم يقل بنبوة مريم كما قال

---

[٢٨] سيد قطب إبراهيم حسين الشاربي، **في ظلال القرآن**، بيروت: دار الشروق، ٢١٤١ ه، ط. ٧١، ج. ٤، ص. ٦٠٣٢

[٢٩] سيد قطب إبراهيم حسين الشاربي، **في ظلال القرآن**، بيروت: دار الشروق، ٢١٤١ ه، ط. ٧١، ج. ٤، ص. ٦٠٣٢

[٣٠] محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق القاسمي، **محاسن التأويل**، بيروت: دار الكتب العلميه ، ٨١٤١ ه، ج. ٧ ص. ٠٩

بعض المتكلمين على الرغم من توافر الكرامات ونزول الوحي عليها، لأن نزول الوحي بواسطة الملك الذي تمثل بشرا.

أن وقوع كرامات الأولياء هو في الحقيقة معجزة للأنبياء، لأنتلك الكرامات لم تحصل لهم إلا ببركة متابعتهم لأنبيائهم، وسيرهم على هديهم.أن كرامات الأولياء هي البشرى التي عجلها الله لهم في الدنيا، فإن المراد بالبشرى كل أمر يدل على ولايتهم وحسن عاقبتهم.

المصادر والمراجع

أباظة، نزار، **جمال الدين القاسمي أحد علماء الإصلاح الحديث في الشام**، دمشق: دار القلم، ١٩٩٧م

ابن جنبكة الميداني، عبد الرحمن ، **العقيدة الإسلامية وأسسها**، دمشق: دار القلم، ١٤٠٣ م

ابن عاشور، محمد الطاهر ، **تفسير التحرير والتنوير**، الجزء الثالث، المجلد الأول، تونس: دار السحنون للنشر والتوزيع، ١٩٩٧

_____، **مقاصد الشريعة الإسلامية**، القاهرة: دار الكتب المصري، ٠١٠٢

ابن كثير القرشي الدمشقي، الحافظ عماد الدين أبو الفداء إسماعيل، **قصص الأنبياء**، مصر: دار الطباعة والنشر الإسلامية، ٧٩٩١ م

_____، **تفسير القرآن العظيم**،دار طيبة للنشر والتوزيع، ٩٩٩١م

أحمد الراغب، عبد السلام،**وظيفة الصورة الفنية في القرآن**، حلب: فصلت للدراسات والترجمة والنشر، ١٠٠٢ م

الاشقر، عمر سليمان، **الرسل والرسالات**، (الكويت: مكتبة الفلاح)

الأطير، حسني يوسف، **سر مريم أم المسيح ابن مريم**، القاهرة: مكتبة الزهراء، ١٩٩٤ م

البقاعي إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر، **نظم الدرر في تناسب الآيات والسور**، القاهرة: دار الكتاب الإسلامي، د.س

الجزائري، مبارك بن محمد الميلي، **رسالة الشرك ومظاهره**، دار الراية للنشر والتوزيع، ٢٠٠١ م

رضا، أكرم، **بالقرآن نجدد الحياة، قراءة تدبرية في سورة مريم**، شركة ألفا للنشر والإنتاج الفني، ٢٠٠٨ م

زحيلي، وهبة ، **التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج**، الجزء الثالث، المجلد الثاني، الطبعة الثانية، بيروت: دار الفكر، ٣٠٠٢

الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، **الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل**، بيروت: دار الكتاب العربي، ٧٠٤١ ه

سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب، **تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد الذى هو حق الله على العبيد**،بيروت:المكتب الاسلامي، دمشق: ٢٠٠٢ م

السيوطي، جلال الدين، **الإكليل في استنباط التنزيل**، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٨٩١ م

الصَّلاَّبي، علي محمد محمد، **الإيمان بالقدر**، المكتبة العصرية للطباعة والنشر

_____، **الإيمان بالقرآن الكريم والكتب السماوية**، المكتبة العصرية للطباعة والنشر

عبد الرحمن،زين الدين بن أحمد بن رجب بن الحسن، **فتح الباري شرح صحيح البخاري**، القاهرة: مكتبة الغرباء الأثرية، ٦٩٩١ م

العثيمين، محمد بن صالح بن محمد، **شرح العقيدة الواسطية**، الرياض: دارابنالجوزي، ١٢٤١ ه

العجمي، محمد بن ناصر، **وليد القرون المشرقةإمام الشام في عصره جمال الدين القاسمي سيرته الذاتية بقلمه**، دمشق: دار البشائر الاسلامية

Muhammad Hasan Ridwan, *Metode Penelitian Tafsir*, Surabaya: Dunia Ilmu, 1997.
Nasrudin Baidan, *Metodologi Khusus Penelitian Tafsir,* Yogyakarta: Pustaka Pelajar, 2016.
Abudin Nata, *Metodologi Studi Islam*, Jakarta: Rajawali Press, 2012.